ملخّص زيارة الاربعين قراءة زهرائية بامتياز / عبد الحليم الغزّي
الحلقة ٧ : القراءة الزهرائية لزيارة الاربعين ج٣
الخميس : ٢٤/صفر/١٤٤٦هـ - الموافق ٢٩/٨/٢٠٢٤

قرأتُ عليكُم من البابِ السّادسِ والعشرين من (كامل الزيارات) لابن قولويه، الحديثُ السّادس، قرأتُ بعضاً من جُمَله وعبائره: **بِسنده** - بسند ابنِ قولويه المتوفّى سنة (٣٦٨) للهجرة، طبعةُ مكتبة الصّدوق، طهران، إيران - **بِسنده، عَن زُرارةَ، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسَلامهُ عليه: يَا زُرَارَة، إنَّ السَّمَاءَ بَكَت عَلَى الحُسَينِ أربعينَ صَبَاحَاً بِالدَّم، وَإنَّ الأَرْضَ بَكَت أربعينَ صَباحَاً بِالسَّوَاد، وَإنَّ الشَّمْسَ بَكَت أربعينَ صباحاً بِالكُسُوف وَالحُمْرَة، وَإنَّ الجِبَال تَقَطَّعت وَانْتَثَرت، وَإنَّ البِحَارَ تَفَجَّرت، وَإنَّ الْمَلائكَةَ بَكَت أربعينَ صَباحَاً عَلَى الحُسَين** - هـذه الجُمَلُ الوجيزةُ تُخبِرنا عن أنَّ الأربعينَ لا يُصنَّفُ في الحوادث التأريخيّة العاديَّة، فهـذا المنطقُ يُخبِرنا عن أنَّ واقعَة الأربعين حقيقةٌ من حقائقِ ديننا، وهـذه الحقيقةُ ليست كلاماً يُقال، هُناكَ أثر تكويني يُحدثنا عنهُ إمامُنا الصَّادق، فواقعةُ الأربعين ما هي بحكاية تُحكى، هـذه الواقعةُ لها ظاهرُها ولها باطنُها، ظاهرُها حكايةٌ تُحكى، لكنَّ باطنها هُو هـذا الَّذي يُحدثُنا عنهُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه قطعاً الحديثُ هنا وفقاً لقواعد المُداراة.

الصَّباحُ الأوَّلُ هُوَ صباحُ الحادي عشر، ولذا فإنَّ الأربعينَ تكتملُ في العشرينَ من صفر، الأمرُ واضحٌ ودقيقٌ في الوقت نَفسه، وهـذا المضمونُ يتكرّرُ جليّاً في زياراتهم، في رواياتهم وأحاديثهم الَّتي تدورُ مضامينها حولَ سيد الشُّهداء صلواتُ اللّه عليه، وحولَ نَهضته، وحولَ ظُلامته، وحولَ مشروعه العَظيم.

في (مفاتيح الجنان)، للمحدث القُمي، والكتابُ مُتوفّر لديكم:

الزيارةُ المطلقةُ الأولى بِحسَبِ تبويبِ مفاتيح الجنان، وهي منقُولةٌ عن (الكافي الشريف)، مَرويّةٌ عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، من أهمِّ نصوص الزيارات الحُسينيَّة المطلقة، نُخاطبُ سيدَ الشُّهداء في هـذه الزيارة ونقول: (**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ، وَاقْشَعَرَّت لَهُ أَظِلَّةُ العَرْشِ، وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلائِقِ**)، الأمر ما هُوَ بِحدَثٍ تأريخي ، هـذا حَدَثٌ إلهي، (شَاءَ اللَّهُ أَن يَراكَ قَتيلاً، وَشَاءَ اللَّهُ أن يَراهُنَّ سَبَايا)..

- **وَبَكَت لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبع** - هُناكَ البُكاءُ الَّذي ينتمي إلى الجزء الأربعيني من البرنامج العاشورائيّ، وهُوَ الَّذي استمرّ أربعينَ صباحاً، وهُناكَ البُكاءُ الدَّائم، هُناكَ البُكاءُ الخالدُ، الزيارةُ هُنا تُشيرُ إلى هاتَين المرتبتين من البُكاء..

- **وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَن يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ من خَلْقِ رَبِّنا وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى.**

ثُمّ تُبَيِّنُ الزيارةُ لِمَ كُلُّ هـذا؟: **أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللّه وَابْنُ حُجَّته، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَتيلُ اللّه وَابْنُ قَتيله، وَأَشْهدُ أَنَّكَ ثَارُ اللّه وَابْنُ ثَارِه** - فأنتَ الحُجّةُ، وأنتَ الَّذي قُتلتَ في محراب اللّه، وأنتَ الَّذي دَمُهُ دمُ اللّه، ولذا فأنتَ ثارُ اللّه - **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وِتْرُ اللّه الْمَوتُورُ فِي السَّمَاوات وَالأَرْض** - هـذا المضمونُ يتكرّرُ واضحاً وجلياً جِدّاً في الزيارات الحُسينيّة الشريفة..

في الزيارة الجامعة الكبيرة وهي دُستورنا العقائديُّ البَليغُ الكامل؛ نُخاطبُهم عُموماً، ونُخاطبُ سيِّدَ الشُّهداء خُصوصاً لأنَّ البرنامجَ مُنعَقدٌ لأجله صلواتُ اللّه عليه، هُنا الزَّائرُ يُخبِرُ عن مضمون نَفسه: (**مُؤْمِنٌ بِسِرِكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشَاهِدِكُم وَغَائِبِكُم وَأَوَّلِكُم وَآخِرِكُم**)، "**مُؤْمِنٌ بِسِركم وَعَلانِيتِكُم**"؛ فالظَّاهرُ هُوَ العَلَن، والباطنُ هُو السِر، وهـذه بديهيّاتُ ثقافة العترة الطاهرة.

في زيارة الأربعين في النَّصِّ المروي عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، صفوانُ الجمّال يقول: **قالَ لِي مَولايَ الصَّادق صلواتُ اللّه عَلَيه فِي زِيارَةِ الأَرْبَعين: تَزُورُ عندَ ارتفَاعِ النَّهَار** - فزيارةُ الأربعين زيارةٌ نهاريَّة، ويَتحقَّقُ مَعناها في نَهارِ العشرين من صفر - **وَتَقُول** - وتبدأ الزيارةُ الشريفة: (**السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ اللّه وَحَبِيبِه**)، وتستمر عبائر الزيارة إلى أن نَقُولَ في هـذه الزيارة نُخاطبُ الحُسينَ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ عَدُوكُم صَلَواتُ اللّه عَلَيكُم وَعَلَى أَرْوَاحِكُم وَأَجْسَادِكُم** - وهـذا النَّصّ إذا أردنا أن نَجمعهُ مع النصوص المتقدمة الَّتي ذكرت الأرواحَ والأجسادَ وهي تُشيرُ إلى كَمال الأجساد المدفُونَة - **وَشَاهِدِكُم وَغَائِبِكُم وَظَاهِرِكُم وَبَاطِنِكُم** - فَدينُنا مَبنيّ على الإيمان بالظَّاهر والباطن..

في الزيارَة الَّتي نَعرِفُها بزيارة وارث وهي زيارةٌ مُطلَقة، في مفاتيح الجنان نُخاطبُ سيدَ الشُّهداء: **صَلَواتُ اللّه عَلَيكُم وَعَلَى أَرْوَاحِكُم وَعَلَى أَجْسَادِكُم وَعَلَى أَجْسَامِكُم وَعَلَى شَاهِدِكُم وَعَلَى غَائِبِكُم وَعَلَى ظَاهِرِكُم وَعَلَى بَاطِنِكُم** - إنَّما يكتَملُ الإيمان حينما نُؤمنُ بِكُلِّ ظاهرهم وبِكُلِّ باطنهم، هـذا هُوَ الإيمانُ الحقيقي بِحقائقِ الدِّين ومَعالِمَ العقيدة، فما من ظاهرٍ إلَّا ولَهُ باطن، وما من باطنٍ إلَّا ولَهُ ظاهر، والإيمانُ إيمانٌ بظاهرٍ وباطن وهـذا ما تُؤكِّدُ عليه كَلماتُهم وزياراتُهم.

مرّ علينا في الحلقات المتقدمة من أنَّ هـذا العُنوان حينَ نُطلقهُ: "زيارةُ الأربعين"، يُشيرُ إلى:

أوّلاً: عبادةٌ بِكُلِّ مَناسكها وطُقوسها، شَرطُها الأكبر: "أن يكُونَ الزَّائرُ عارِفاً بِحقِّه صلواتُ اللّه عليه".

ثانياً: زيارةُ الأربعين تُشيرُ إلى الجزء الثَّاني من البرنامج العاشورائيّ، العاشرِ من المُحرّم عاشوراء الحُسين، والعشرونَ من صفر عاشوراءُ السجَّاد والعقيلة وأسارى آل مُحمّد.

ثالثاً: زيارةُ الأربعين وخُصوصاً في أيَّامنا تَجلَّى هـذا المعنى بأوضح صُورة، لا يعني أنَّ هـذا المعنى ليسَ مُتوفِّراً فيما مرَّ من الزَّمان، لكنَّهُ تَجلَّى في زماننا بنحوٍ لا مَثيلَ لهُ في كُلِّ القرون الماضية، صارت زيارةُ الأربعين واجهةً واضحةً من واجهات الحاضنة الحُسينية المهدويَّة..

سأشير إشارةً مُقتضبةً: فالزَّائرُ الَّذي يُريدهُ مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد صلواتُ اللّه عليهِم هُوَ الزَّائرُ العارفُ بِحقِّ المزُور، هـذا هُوَ الزَّائرُ الَّذي سيحظى بنظرة لُطف من إمام زَمانه صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

وهُنا لابُدَّ أن نَقول: حديثُنا عن سيد الشُّهداء وهُوَ هُوَ حَديثٌ عَنهُم لكنَّ البرنامج مُعنونٌ بعنوانه صلواتُ اللّه عليه، الحُسينُ لهُ مَقامٌ ظاهر ولَهُ مقامٌ باطن، إيمانُنا بِظاهره وباطنه هل يعني أنَّنا نُدركُ حقائقَ ظاهره وحقائقَ باطنه؟!

الجوابُ يأتينا عبر هـذا العَرض الموجز:

من بَديهيّات ثَقافَة العترة الطاهرة؛ القُرآنُ الَّذي هُوَ المُصحَف الشريف الَّذي هُو القُرآنُ، إنَّهُ صُورةٌ خَطيّةٌ لفظيّةٌ صامتةٌ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، الكتابُ الإلهيّ النَّاطق مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، صُورةٌ صامتةٌ عن المصدر الأصل الَّذي هُوَ الكتابُ النَّاطق.

- فَهُناكَ كتابٌ إلهيّ صامت وهُوَ "المُصحَف".
- وهُناكَ كتابٌ إلهي ناطِق وهُوَ "الإمامُ المعصُوم"، في زماننا الحُجَّةُ بنُ الحَسن العَسكريّ.
- فإنَّ الكتابَ النَّاطقَ بِحسَبِ موضوعِ هـذا البرنامج هُوَ "الحُسَينُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه".

القُرآنُ يُخبِرنا عن نَفسه بنفسه: في سورة الزُّخرف، الآية الثَّالثة بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** - هـٰذه هي الصيغةُ المقروءةُ، الصيغةُ المكتُوبةُ، الصيغةُ الملفُوظةُ، الصيغةُ المحفُوظةُ في الصُّدُور، عَمليَّةُ جَعْل، هـٰذا مقامٌ ظاهريٌ للقُرآن - **لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**﴾، الآيةُ تُخبِرنا: من أنَّ البناء اللَّفظيّ الَّذي يظهر لنا في الـمُصحَف هـٰذا البناءُ يُمثِّل صُورةً ظاهريَّةً، ومعَ ذٰلك فإنَّ القُرآنَ يُخبِرنا بأنَّنا قد نُوفَّقُ للتَّواصل معه وقد لا نُوفَّق، لَعلَّكُم تُوفَّقونَ للتَّواصُل معَ ظَاهرِ القُرآن ورُبَّما لا تُوفَّقون، فإذا كان حالُنا هـٰذا معَ ظاهرِ الصورة الصَّامتة هـٰذا يعني أنَّنا لا نستطيعُ أن نتواصَلَ من البِدايةِ وبِنحوٍ مُطلَق معَ الصورة الباطنة لهـٰذا الـمصحف..

- **وَإِنَّهُ** - وإنَّ القُرآنَ هـٰذا - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**﴾، الصورةُ الباطِنةُ لهـٰذا الـمُصحَف لن نستطيعَ أن نتواصلَ معها لأنَّنا لا نملِكُ طريقاً إلىٰ أُمِّ الكتاب، إنَّها عوالمُ الغَيب..

في (تفسير العيّاشي)، جامعٌ من جوامع أحاديثنا التَّفسيريَّة، العيّاشي كانَ مُعاصراً للكليني، والكليني توفِّي سنة (٣٢٨) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الجزء الأوَّل، الصفحة الثانية والعشرين، الحديثُ الثَّاني: **عَن جَابِرٍ** - إنَّهُ الجُعفي رضوانُ اللّه تعالىٰ عليه - **قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْد اللّه الصَّادقُ صَلواتُ اللّه عَلَيه: يَا جَابِر، إِنَّ لِلقُرآنِ بَطْناً وَلِلبَّطْنِ ظَهْراً** - هـٰذا الحديثُ في مستوىٰ البناء اللَّفظي، وليسَ الكَلامُ عن الَّذي جاءَ مذكوراً في الآية الرَّابعة بعدَ البسملة من سُورة الزُّخرف حينما كانَ الحديثُ عن أُمِّ الكتاب؛ ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**﴾، وإنَّما الحديثُ عن البناء اللَّفظيِّ الَّذي جاء في هـٰذه الآية: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**﴾، عن ظاهر الـمُصحف، وظاهرِ الـمُصحف حينما نخوضُ في دائرة تأويله فَهُناكَ الظَّواهرُ وهُناكَ البواطن.

ثُمَّ قَالَ: **يَا جَابِر، وَلَيسَ شَيءٌ أَبْعَدَ من عُقُول الرِّجَال منه، إِنَّ الآيَةَ لَتَنْزِلُ أَوَّلُها فِي شَيء وَأَوْسَطُها فِي شَيء وَآخِرُها فِي شَيء وَهُوَ كَلامٌ مُتَّصِلٌ يَتَصَرَّفُ عَلَىٰ وُجُوه** - فتارةً يُستخرجُ المعنى من قانونِ وحدة السِّياق في الآية، وتارةً يُستخرج المعنى منَ قانونِ عدمِ وجودِ وحدةٍ في السِّياق، تِلكَ حقائقُ القُرآن وآفاقُ القُرآن وحُدودُ القُرآن ومطالعُ القُرآن ومَجاري القُرآن بِحسبِ منهجِ بيعة الغدير..

الـمُصحَفُ صُورةٌ صامتةٌ عن الإمام المعصُوم، حديثُنا عن الحُسين فالـمُصحَفُ صُورةٌ صامتةٌ عن الحُسين، وهـٰذا الـمُصحَفُ لهُ ظاهرٌ لفظيٌ ولهُ باطنٌ تكوينيٌ، الباطنُ التَّكوينيُ ليسَ لنا من طريقٍ إليه لأنَّهُ مَخزونٌ في أُمِّ الكتاب، الظَّاهرُ اللَّفظيُّ هُوَ الَّذي جاء مذكُوراً في هـٰذه الآية من سورة الزُّخرف: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**﴾، يُمكِننا أن ننجح في التَّواصُل معه ويُمكِنُ أن لا نَنجح.

فهـٰذا الظَّاهرُ إذا أردنا تَأويلَهُ بِحسبِ موازينِ منهجِ بيعة الغدير فإنَّ لَهُ ظاهرٌ، وإنَّ لهُ باطن، وباطنهُ يَمتدُّ إلىٰ الكَثيرِ من المراتب، ولكُلِّ باطنٍ من بَواطنه هُناكَ ظاهر، هـٰذا هُوَ الَّذي حدَّثنا عنهُ إمامُنا الصَّادق عبرَ جابرٍ الجُعفيّ، وأنا لا أُريدُ أن أخوضَ في هـٰذه القواعدِ التفسيريَّة، إنَّما أُريدُ أن أُقرِبَ لَكُم الفِكرة من أنَّنا عاجزونَ عن التَّواصُل معَ ظاهرِ الصُّورة الصَّامتة للكتاب الإلهيِّ النَّاطق.

أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه في (نهج البلاغة الشريف)، طَبعةُ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الصفحة السادسة والعشرين، من كلام لأمير المؤمنين رُقِّمَ بالرَّقم الثَّامن عشر، سيِّدُ الأوصياء يتحدَّثُ عن القُرآن الـمُصحَف، عن الصورة الصَّامتة للكتاب الإلهي: **وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنيق وَبَاطِنُهُ عَميق** - الكلامُ هُنا عن الصورة الصَّامتة وعن الجانب اللَّفظيِّ من هـٰذه الصورة، هُناكَ هَندَسةٌ، هُناكَ أناقةٌ، هُناكَ حكْمَةٌ في هـٰذا البناء اللَّفظي، ثُمَّ يَقولُ سيِّدُ الأوصياء: **لَا تَفْنَى عَجَائِبُه وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِه** - وكُلُّ الحديث عن الصورة اللَّفظيَّة فَقَط من الصورة الصَّامتة للكتاب الإلهيِّ، أمَّا الصورةُ النَّاطقةُ للكتاب الإلهيِّ مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد، والحديثُ هُنا عن حُسينٍ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

يقولُ أميرُ المؤمنين في خُطبة من خُطَبه وهي الخطبةُ الثَّامنةُ والخمسون بعدَ المئة بِحسبِ تسلسل الخُطبِ في هـٰذه الطبعة، الصفحة الثَّامنة والخمسين بعدَ المئة، أميرُ المؤمنين يُحدِّثُنا عَن القُرآن: **ذَلِكَ القُرآنُ** - إنَّهُ الـمُصحَف - **فَاسْتَنْطِقُوه** - حاوِلوا أن تتواصَلوا معَه - **وَلَن يَنطِق** - لَن يَنطِق، مُستحيلٌ أن تستطيعوا استنطاقهُ، إذا ما استنطقتُمُوه واستشعرتُم أنَّهُ نَطَق فذٰلك الشَّيطان، لأنَّ الأَمير يقولُ لنا: (**لَن يَنطِق**)، إذاً ماذا نفعلُ يا أمير الأُمَراء؟هُو الَّذي يقول: **وَلَكِن أُخْبِرُكُم عَنْه** - هـٰذا هُو طريقُ التَّواصُل معَ صورة الكتاب الإلهيِّ الصَّامتة وفي ظاهرها اللَّفظيِّ لا في باطنها التَّكويني، إذا ما اتَّبعتُم هـٰذا السبيل فإنَّكُم ستعقلون، ولكنَّكُم إذا أردتُم أن تَستَنطِقوهُ بأنفُسكم فإنَّكُم لن تَعقلون، هـٰذا يعني أنَّ العُقُولَ مُختلِّةٌ، فهل تتوقَّعونَ من عُقُولٍ مراجعكم المختلَّة أنَّها تُنتِجُ لَكُم نَتاجاً سليماً؟!

- **أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَدَوَاءَ دَائِكُم وَنَظْمَ مَا بَينَكُم** - ونَحنُ خَسِرنا كُلَّ هـٰذا حينما تركنا منهجَ الغديرِ في تفسيرِ قُرآنهم وذهبنا نُفَسِّرُ القُرآنَ بِحسَبِ المنهج العُمري..

يقولُ سيِّدُ الأوصياء؛

من كلامٍ لهُ رُقِّم بِالرَّقم الخامسِ والعشرين بعدَ المئة، الصفحة التاسعة والعشرين بعدَ المئة، سيِّدُ الأوصياء يقول: **هَـٰذا القُرآنُ** - يتحدَّث عن الـمُصحَف في بُعده اللَّفظي الظَّاهري، وليسَ في بُعده التَّكوينيّ - **هَـٰذا القُرآنَ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَستُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَين** - وليسَ الكلامُ عن القُرآن التَّكوينيِّ الَّذي هُوَ صورةٌ باطنةٌ لهـٰذا القُرآن التَّدويني، مَستورٌ سُترت المَعاني فيه، لابُدَّ من جهة تقومُ برفعِ السِّترِ عن هـٰذه المعاني - **لَا يَنْطِقُ بِلِسَان** - يُؤكِّدُ المعنى مرَّةً أُخرى..

- **وَلَابُدَّ لَهُمن تَرجُمَان** - مَن هُم تراجِمةُ الوحي؟ نَحنُ نُسلِّم عليهِم في زياراتهم صلواتُ اللّه عليهِم من أنَّهُم تراجِمةُ الوحي، التَّراجِمةُ مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد فقط، وسورةُ آل عمران تشهدُ بهـٰذا: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم**﴾، ومَن هُم الرَّاسِخونَ في العِلْم؟ - **وَلَابُدَّ لَهُ من تَرجُمَان وَإِنَّمَا يَنطِقُ عَنهُ الرِّجَال** - مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهِم أجمعين.

أعتقدُ أنَّ الفكرةَ صارت بَيِّنةً وواضحةً، فنحنُ لا نستطيعُ أن نُدرِكَ باطنَهُم، لا نستطيعُ أن نُدرِكَ باطنَ الحُسين، وفي الوقت نَفسه لا نستطيعُ أن نُدرِكَ ظاهرَ الحُسَين، وأنا أتحدَّثُ عن الكتاب الإلهيِّ النَّاطِق، إذا كنَّا عاجزينَ عن إدراك ظَواهرِ الكتاب الإلهيِّ الصَّامت إلَّا من خِلالِهم فما بَالُكم ونَحنُ نتحدَّثُ عن الكتاب الإلهيِّ النَّاطق؟

قد يقولُ قَائلٌ: إذاً ما معنى أن يَزُورَ الزَّائرَ وأن يكونَ عارِفاً بِحقِّ الحُسَين؟!

ما هي هـٰذه هي المعرفة؛ "**معرفَتُنا بِهِم عَجزُنا عن مَعرِفَتِهم**"، هـٰذه هي مَعرفَتُنا بِهِم عَجزُنا عَن مَعرِفَتِهم، لكنَّ العجزَ لابُدَّ أن يكونَ مبنيّاً علىٰ علمٍ، علىٰ معرفَة، علىٰ وُضوح صُورة، لا أن يكونَ كلاماً إنشائيّاً يُردِّدهُ المرددونَ علىٰ ألسنتهم، لابُدَّ أن يكونَ العجزُ عَن معرفتهم ناشئاً من معرفةٍ واسعةٍ وعميقةٍ جِدّاً.

في (الكافي الشريف) للكليني، الجزء الأوَّل، طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصفحة الخامسة والعشرين بعدَ المئتين، حديثٌ مرويٌ عَن إمامِنا الرضا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، حديثٌ طويلٌ وهُوَ الحديثُ الأوَّلُ في بابه.

إمامُنا الرضا هـٰكذا يقول: **فَمَن ذَا الَّذي يَبلُغُ مَعرِفَةَ الإِمَام أَو يُمكِنُهُ اختِيَارُه** - أيَّةُ خيبة وقعت فيها هـٰذه الأُمَّة وهي تَختارُ الأئمَّة بِحسَبِ برنامجِ سقيفة بني ساعدة؟! وأيَّةُ لَعنةٍ حلَّت بِها؟! - **هَيْهَاتَ هَيْهَات، ضَلَّت العُقُول وتَاهَت الحُلُوم وَحَارَت الأَلْبَاب وَخَسِئَت العُيُون وَتَصَاغَرَت العُظَمَاء وَتَحَيَّرَت الحُكَمَاء**

وَتَقَاصَرَت الحُلَمَاء وَحَصرت الخُطَبَاء وَجَهلَت الأَلبَّاء وَكَلَّت الشُّعَرَاء وَعَجَزَت الأَدَبَاء وَعَيّت البُلَغَاء - عن أيِّ شيء؟ - **عَن وَصْفِ شَأنٍ من شَأنه** - لا نَعرِفُ شيئاً لا من بَاطنه ولا من ظَاهره، "وَصفُ شَأنٍ من شَأنه"؛ هـٰذا أمرٌ يرتبطُ بظاهره وليس بباطنه، هـٰؤلاء هُم أئمَّتُنا..

- **عَن وَصْفَ شَأنٍ من شَأنه أو فَضيلَة من فَضَائله وأقرَّت بالعَجزِ والتَّقصير، وَكَيفَ يُوصَفُ بِكُلِّه** - إمامُنا الرضا هُو الَّذي يقول لستُ أنا - **أو يُنْعَتُ بِكُنْهِه** - الإشارةُ هُنا إلىٰ باطنه.

مثلما مَرّت الإشارةُ إلىٰ ظاهره: (**عَن وَصْفِ شَأنٍ من شَأنه أو فَضيلَة من فَضَائله وَأقرَّت بِالعَجْزِ وَالتَّقْصير**)، هـٰذا في ظاهره.

أمَّا في باطنه: **وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّه أو يُنْعَتُ بِكُنْهِه أو يُفْهِمُ شَيْءٌ من أَمْرِه أو يُوجَدُ مَن يَقُومُ مَقَامَه وَيُغْنِي غنَاه** - هـٰذه كلماتُ إمامنا الرضا - **لَا كَيْفَ وَأَنَّىٰ وَهُوَ بِحَيثُ النَّجْمِ من يَدِ الْمُتَنَاوِلِين وَوَصْفِ الوَاصِفين، فَأَيْنَ الاخْتِيَارُ من هَـٰذا، وَأَيْنَ العُقُولُ عَن هَـٰذا، وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَـٰذَا** - هـٰذا حُسَينٌ الَّذي نَتحدَّثُ عنه - **أَتَظُنُّونَ أَنَّ ذٰلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآله** - أتظُنُّونَ؟ هـٰذا كلامُ الرضا هُو الَّذي يُسائِلُنا يُسائِلُ هـٰذه الأُمَّة الغَبيَّة، ويستمرُّ الحديث، الأمر واضحٌ لا يحتاج إلى بحثٍ طويل.

نَحنُ عاجِزونَ عن إدراكِ ظاهرِ الحُسَينِ وعاجِزونَ عن إدراكِ باطنِ الحُسَين، وكُلٌّ جِهةٍ لها شُؤونُها، المقاماتُ الظاهريَّةُ لها شُؤونُها، والمقاماتُ الباطنيّةُ لها شُؤونُها..

منَ الآخر : إذا كُنَّا نَبحثُ في هـٰذا العُنوان: (أنَّ زَائرَ الحُسَينِ يَزورُ الحُسَينَ وهُوَ عَارِفٌ بِحَقِّه)، المعرفةُ تبدأُ من هُنا: (من عَجزِنا عن مَعرفته)، لكنَّ الكلامَ هـٰذا ليسَ إنشائيّاً، لابُدَّ أن يَصدُرَ عن علمٍ، مثلما يقولُ رسولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله: (نصفُ العِلمِ قَولُ لَا أعْلَم)؛ لا أعْلَم هـٰذه الَّتي تَصدُرُ عن عالمٍ موسوعي، عن عالمٍ قَد حَقَّقَ ودَقَّقَ في كُلِّ شُؤونه العلميّة، وبعدَ أن تَوسَّعَ علمُه واتَّسعَ اطِّلاعُه ودَقَّقَ وتَقصَّى وتَحقَّقَ من كُلِّ المعارفِ وصلَ إلى هـٰذه النَتيجة فقالَ لَا أعْلَم، (وغايةُ الإدراك أن أدري بِأنِّي لَستُ أدري)، لَستُ أدري عن تَحقيقٍ وعن تدقيقٍ..

حَديثُنا عن الحُسَين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، يُمكننا أن نَتلمَّسَ بعضَ آثاره الشريفة:

من آثارِ مَقاماته الظاهريَّة وليست الباطنيّة، في المَقامات الباطنيّة فلا يُمكنُ أن يَصِل الأذىٰ لِحُسينٍ، وإنَّما في المقامات الظاهريَّةِ يصلُ الأذىٰ لحُسينٍ أتحدَّثُ عن الأذىٰ التَّرابيّ، وهـٰذا هو الَّذي جرىٰ في عاشوراء.

من آثارِ مَقاماته الظاهريَّة: **مشروعهُ العاشورائيّ.**

يُمكننا أن نَتلمَّسَ أثرَ الحُسَينِ في مشروعه العاشورائيّ، والمشروعُ العاشورائيّ هُو أيضاً لهُ ظاهرٌ وباطن، كُلُّ شيءٍ في هـٰذا الوجود لهُ ظاهرٌ وباطن..

باطِنُ المشروع العاشورائيّ: "الرجعةُ العَظيمة"، لا نستطيعُ أن نُدرِكَ أبعادَها العميقةَ إلَّا إذا كُنَّا في ذٰلكَ العَصر، ونَحنُ في زمانِ الغَيبَةِ نُدرِكُ ما نُدرِكُ بِحسَبِ ما حَدَّثونا، والرّجعةُ العَظيمةُ تترقَّىٰ في مَراتبها حتَّىٰ تصلَ إلىٰ جنَّة الدُّنيا، إلىٰ الدَّولَةِ المُحَمَّديَّةِ العُظمَىٰ في آخرِ عصرِ الرجعةِ العَظيمة.

قد يقولُ قائلٌ: وعصرُ الظُّهور المهدويّ؟!

إنَّهُ جزءٌ من ظاهرِ المشروع العاشورائيّ، الظُّهورُ المهدويّ مُقدمةٌ للرّجعَة العَظيمة..

في الدُّعاء المرويّ عن أئمَّتنا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم، الَّذي يُقرأُ في اليوم الثَّالث من شَهرِ شعبان في مولد سيّد الشُّهداء الَّذي أوّلُه: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْمَولُودِ فِي هَـٰذا اليَوْم**)، إنَّهُ الحُسينُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، إلى أن يقولَ الدُّعاء: **قَتيل العَبْرَة** - إنَّهُ الحُسَينُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه هـٰكذا نَعرِفهُ، ما المرادُ من ذٰلك؟ ما ذَكَرَهُ مُؤمنٌ إلَّا واستَعبَر - **وَسَيِّد الأُسْرَة** - إنَّها أسرةُ مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله - **الْمَمْدُود بِالنُّصْرَة** - بالنُّصرَة المحسوسَة متى؟ - **يَوْم الكَرّة** - إنَّهُ اليومُ الثَّاني من أيَّام اللّه، فأيَّامُ اللّه ثلاثة؛

- اليومُ الأوَّل: يومُ القائم وهُو داخلٌ في الجزء الظَّاهريّ من المشروع العاشورائيّ.

- اليومُ الثَّاني: وهُو يومُ الرّجْعَة العَظيمة يومُ الكَرّة داخلٌ في الوجه الباطني للمشروع العاشورائيّ.

- **يَوْمَ الكَرَّة الْمُعَوَّض عَن قَتْله أَنَّ الأَئِمَّةَ من نَسْله وَالشِّفَاء في تُربَتِه وَالفَوْزَ مَعَهُ في أَوْبَته وَالأَوْصِيَاءَ من عِتْرَتِه بَعْدَ قَائِمِهِم وَغَيْبَتِه** - "بَعدَ قَائِمِهم وغَيبَته"؛ إنَّها الرّجعةُ العَظيمة..

ما يرتبطُ بظاهرِ المشروع العاشورائيّ: فإنَّنا نستطيعُ أن نتلمَّسهُ من خلال أهداف هـٰذا المشروع.

المشاريعُ الستراتيجيّةُ الحياتيّةُ التأريخيّة، المشاريعُ الجبّارةُ العَظيمةُ تتعدَّدُ أهدافُها:

- هُناكَ أهدافٌ قريبةٌ.

- وهُناكَ أهدافٌ مُتوسّطةٌ.

- وهُناكَ أهدافٌ بعيدةٌ.

المشروعِ العاشورائيّ:

الهدفُ القريب: عاشوراء وضعت خَطّاً فاصلاً فيما بَينَ آل مُحَمَّد وآل السقيفة، كثيرونَ منَ الباحثينَ من المُستشرقينَ وغَيرِهم يَعدُّونَ أنَّ بدايةَ التشيّع بعدَ واقعة عاشوراء، لأنَّهم يَلمَحُونَ الكثيرَ من الأمورِ في تأريخِ المسلمين هُم يستنتجونَ من تلكَ المَطالبِ أنَّ التشيّع بدأ بعدَ عاشوراء، هـٰذا الكلامُ ليسَ دقيقاً، التشيّعُ هُوَ الإسلام والإسلامُ هُو التشيع، ولا يُوجدُ فارقٌ بينَ الإثنين بِحسَبِ ثقافة العترة الطاهرة..

الحُسينُ فضحَ السقيفة الملعونة سقيفة بني ساعدة ووضعَ خَطّاً فاصلاً بينَ جهةٍ يُقالُ لها آلُ مُحَمَّد، وبينَ جِهةٍ أخرىٰ يُقالُ لها آلُ السقيفة، الحُسَينُ في هَدفه القَريب شَخَّص ما بَينَ الشَّجرتَين؛

- هُناكَ الشَّجرةُ الطَّيبة.

- وهُناكَ الشَّجرةُ الخبيثة.

- هـٰذه مُباركةٌ وهي الطَّيبة.

- وتلكَ ملعونةٌ وهي الخبيثة.

هُناكَ الشَّجرةُ الطَّاهرةُ المُطهَّرةُ الَّتي عُنوانُها حُسَين؛ (**حُسَينٌ مِصْبَاحُ هُدًى وَسَفِينَةُ نَجَاة**)، ورُوحُها عليّ..

إمامنا الصّادقَ يقولَ وهُوَ يُردِدُ كلامَ رَسُول اللّه ورسولُ اللّه يُرَدِدُ كلامَ اللّه: (**إذا كُتِبَ الكتَاب قُتِلَ الحُسَين**)..

أمَّا الشَّجرةُ المباركة؛ إنَّها شجرةُ اللّه، شجرةُ آل اللّه، ثَمرتُها المُزهرة ونُورها المُشرق إمامُ زماننا بقيّةُ اللّه الأعظم صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

حِينما وَضعَ الحُسينُ خَطّاً خَطَّهُ بِدمه الطَّاهر، فوضعَ مائزاً يُمَيزُ كما تُمَيز الشَّمس اللَّيلَ من النَّهار، دمُ الحُسَينِ مَيّزَ ما بينَ آلِ مُحَمَّد وآل السقيفة الملعونة..

هدفُ المشروع العاشورائيّ الوسيط: الـمُحافظةُ على منهج وصيّةِ رَسُول اللّه.
وصيّةُ رَسُول اللّه؛ "أن نتمسَّكَ بالكتابِ والعترة".
دَمُ الحُسَينِ في عاشوراء هُو الَّذي جَعلَ هـٰذا المنهجَ مُستمراً من بَعده في ولده السجَّاد وهـٰكذا في الأئمَّة إلى يومنا هـٰذا، فَكُلُّ الَّذي قامَ به الأئمَّةُ بعدَ سَفك دَم الحُسَين أن حافَظوا على حرارته، وحافظوا على غليانه، وحافَظوا علَى طاقته الَـمُستديمة الَّتي تَبعثُ الَحياة في منهج الكتابِ والعترة، ولا زالَ يَتجدَّدُ يوماً بعدَ يوم في قُلوب المخلصين..
أمّا الهدفُ الثَّالث: تحقيقُ المشروع المهدويِّ الأعظَم عبرَ صناعَة الحاضنة الحُسينيّة والَّتي صُنعت مُنذُ يوم عاشوراء ولا زالت موجودةً فيما بَيننا، هـٰذه الحاضنةُ الحسينيّةُ الَّتي أجَّجَها بقيّةُ اللّه بعدَ سُقوط النِّظام البَعثي أجَّجها بنحوٍ واضحٍ في زيارة الأربعين، هـٰذه الحاضنةُ الحُسينيّةُ تتحرَّكُ على طول الزَّمان، قد تَضعُفُ في بعض الأحيان بسبب الشيعة، وقد تُلطَّخُ بالأوساخ الشيعيّة، لكنَّ الحياة تبقى فيها مُتدفِّقةً، هـٰذه الحاضنةُ الحُسينيّةُ هي في حالة استمرارٍ وفي حالة تَمهيد بحسبِ ما تكونُ الشيعةُ عليه، إنَّهُ تمهيدٌ للمشروع المهدويّ، الطاقةُ الَّتي تُحرِّكُ المشروع المهدويّ إن كانَ هـٰذا في زمان الغَيبة أو كانَ هـٰذا في زمان الظُّهور، المشروعُ المهدويّ لا تُحركهُ إلَّا نوعيّةٌ واحدةٌ من الطاقة إنَّها الطاقةُ الحُسينيّةُ العجيبة، هـٰذا الهدفُ لا زالَ يَتحرَّكُ باتِّجاه يوم الخَلاص، وحتَّى لو جاء يومُ الخَلاص فإنَّ الشِّعار الَّذي يَبعثُ الحماسَ في كُلِّ القُوّة المهدويّة؛ (**يَا لَثَارات الحُسَين**)، الحُسينُ يبقى عُنوانَ الحياةِ لهـٰذا الدينِ؛ "لدين العترةِ الطاهرة"..